الانثروبولوجيا والأسطورة كلود ليفي ستراوس أنموذجا(1908_2009)

Title : Anthropology and myth Claude Levi-Strauss is a model 1908_2009

سعيدي محمد[1]

1كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، saidi.mohamed@univ-tlemcen.dz تاريخ

الاستلام: 2019/12/20 تاريخ القبول: 2020/06/15 تاريخ النشر: 2020/07/12

ملخص: شكلت الأسطورة مادة خصبة للدراسات الأنثروبولوجية حيث اهتم بها الأنثروبولوجيون وعملوا جاهدين من أجل ملاحقتها و جمعها و تدوينها و إخراجها في كتب و مجلدات ضخمة لا زالت مكتبات الجامعات الأوروبية تزخر بها مادة حية يعود إليها الباحث الأنثروبولوجي، والإثنولوجي، والمؤرخ ،واللساني، والأديب ،والناقد ،وعالم الاجتماع ،وعالم النفس، وعالم الحضارات، وعالم الآثار، وعالم الأديان، وغيرهم... وذلك يعود بالدرجة الأولى إلى ما تزخر به من قيم أدبية وفكرية ولغوية وتاريخية وحضارية ،ودينية، وثقافية ،وأثرية، قد تؤهل الباحث إلى معرفة عمق تاريخ و حضارات وفكر الشعوب

الكلمات المفتاحية: الانثروبولوجيا، الطقوس، البناء، الابعاد الاجتماعية والثقافية، المنهج

Abstract: The mythology constitutes a fertile subject for anthropological studies, where anthropologists were interested so they worked hard to collect it in books and folders which are still in european universities libraries and to which all researchers return to in need like: the thropologist ,the ethnologist ,the historian ,the linguist ,the writer, the critic ,the sociologist , the theologist , the archeologist , the psychologist and athers . This is primaly due to its intelectual , linguistic , historical , cultural and religious values , these values enable the reseacher to know the deep history ,civilizations and the peoples thought .

Keywords: Anthropologie-mythes-structure; dimensions socioculturelles - méthodes.

المؤلف المرسل: سعيدي محمد ، **الإيميل**: **msaidi45@yahoo.fr**

مقدمة:

نسعى في هذه الدراسة إلى مساءلة موضوع الأسطورة كجنس تعبيري و فكري قديم قدم الحضارة الإنسانية.فهي حاضرة في كل الثقافات وعند كل الشعوب وفي كل الأزمنة.لقد صاحبت مسيرة الشعوب منذ القديم .فهي على بساطة حضورها المعرفي والأدبي والفكري والثقافي تعد" شهادة على ماضي البشر وإدراكهم للعالم وتصوراتهم إياه .إنها صورة لنا عنه وعنا،ندرك من خلالها الثابت والمتحول في المخيال الجماعي.أما من حيث الصيغة فهي شكل من أشكال التعبير نسيج وحده،رحمه المولد له الفكر والخيال والوجدان،وأداته الرمز ومسكنه الذي تأوي إليه أو تتقنع فيه مستويات عديدة من الملفوظ."(**1**)

منذ البداية نعترف بأن هذه المقاربة لم تكن سهلة وبسيطة وهادئة، لقد اقترنت بعدد من التساؤلات والتي ظلت تضغط علينا دوما وأبدا، ولعل أهمها:

_ما معني الأسطورة؟

_لما اقترنت حركيتها الإبداعية والتعبيرية دائما بالشعوب القديمة؟

_هل تمتلك الشعوب المعاصرة والحديثة القدرة على إبداع أساطيرها؟ وما هي مضامينها؟

_ما هي الخلفيات التاريخية والفلسفية والعلمية والعقائدية للأسطورة؟

_ما مستوى تداخلها أو تقاطعها مع الأشكال التعبيرية الأخرى كالحكاية والملحمة والرواية والشعر والموسيقى؟

_ما هي حدود العنصر العجيب والغريب والحقيقة والخيال في الأسطورة؟

_ما هي الوظيفة الأدبية والثقافية والنفسية والاجتماعية والعقائدية للأسطورة؟

_ما هي إسهامات العلامة كلود ليفي ستراوس في البحث الأسطوري المعاصر؟

_ما هي المناهج العلمية التي اعتمدها كلود ليفي ستراوس في دراساته للأسطورة؟

وقد تختزل هذه التساؤلات الفرعية سؤالا وجوديا:موقع الأسطورة في الفكر البشري؟

إن الأسئلة لا تنتهي ،فهي عديدة و متنوعة ،كما أنه لا يمكن الاعتقاد أيضا أننا قادرون على الإجابة على كل تلك الأسئلة التي طرحناها و التي لم نطرحها بعد. لأننا و بكل بساطة نحن أمام إطار تعبيري صعب ومعقد ومغلق وقد لا يبوح بأسراره بكل سهولة ودفعة واحدة. فالأسطورة عالم رمزي عجيب وغريب يعانق عبره وفيه المقدس الدنيوي و المعقول اللامعقول والحقيقة الخيال والمنطقي اللامنطقي، يتعانقان تارة ويتصارعان تارة أخرى تحت رحمة الرمز الإلهي والبشري والحيواني و الطبيعي.

العرض والتحليل:

شكلت الأسطورة مادة خصبة لدراسات أدبية ونقدية ولغوية ونفسية واجتماعية وتاريخية ودينية و حضارية وانثروبولوجية عديدة، و ذلك لغنى مضامينها من حيث القيم والأفكار والرموز، حيث اكتشف فيها وعبرها الباحثون منافذ معرفية مهمة لقراءة مسيرة الإنسان والإنسانية من حيث النشأة والتفاعل الرمزي الديني والدنيوي المادي والتاريخي البشري والطبيعي. وقد يتجلى ذلك عبر عدد من الرموز والمظاهر المادية والمعنوية والسلوكية للإنسان كذات بشرية وتفاعلاته الاتصالية أو الانفصالية مع المقدس ورموزه الإلهية ومع الطبيعة ومظاهرها من أمطار ورياح ورعود وبرق ونجوم وقمر وشمس وأنهار ووديان ومغارات وكهوف وجبال شامخة وغيرها من الكواكب والتضاريس ومع الغيلان والسحرة ومع الحيوانات المختلفة سواء الأليفة منها أو المتوحشة ومع الأشياء المادية من حجارة ومعادن

والنباتات والأشجار والغابات والتي شكلت بالنسبة الإنسان مادة خصبة للتفكير وللتأمل في الكون وفي نظامه وفي مكوناته البنيوية.

وقد أرجع الباحثون المهتمون بموضوع الأسطورة الاهتمام العلمي العديد ومتعدد المعارف والمقاربات بها إلى أسباب مختلفة "منها وجودها في جميع المجتمعات تقريبا، ومنها إيمان مجموعات بشرية بأكملها بها واستنادهم إليها قولا وفعلا ،مما يبعدنا عن أن تكون مجرد عبث ذهني لا يجدي نفعا، ومنها أنها توفر معطيات عن تصور المجموعة للمجتمع، وكيف يكون ولمؤسساته واحتفالاته وطقوسه ومحرماته ونظام قيمه وعلى ماذا تستند ومما تستند السلطة شرعيتها وكيف تتحدد العلاقات بين البشر وعالم الآلهة والأرواح أو الأسلاف وما هي مشمولات كل جنس من ذكر وأنثى في مختلف مراحل حياته ، وهي معطيات قد لا تتوفر في غيرها في المصادر."(2)

تعريف الأسطورة:

منذ البداية وجدنا أنفسنا أمام السؤال المفتاحي والذي كنا نعتقد في سهولته وفي سهولة طرحه وفي سهولة وبساطة الإجابة عنه :وهو ما معنى الأسطورة؟

لقد ضغط علينا هذا السؤال وبقوة وذلك لتعدد التعريفات وتنوعها واختلافها وكذا مجالات الاهتمام في عملية ضبط مفهوم الأسطورة. وقبل مناقشة إمكانية بناء وصياغة تعريف، قد يبدو لنا على الأقل يتماشى وأطروحتنا، نقول أن عددا كبيرا من الباحثين اعترفوا وبكل تواضع بصعوبة إيجاد تعريف واحد وموحد للأسطورة قد يغطي تلك المساحات الخفية والباطنية والغامضة لما تحتويه ولما تشيعه من قيم ومن أفكار ورموز."إن تعريف الأساطير التي تشمل بعض مميزات مشتركة بين أمم مختلفة صعب كل الصعوبة،نظرا لتقاليد وراثية نقلت

إليهم من عصر يسمى في الاصطلاح الحديث،عصر توليد الأساطير (...) وهذا العصر يماثل العصر الحجري والحديدي في تمثيله طورا من أطوار ارتقاء الفكرة الإنسانية، أو قل انه وظيفة من وظائف الذهن الإنساني لان هناك أساطير صنعت واخترعت في عصر التاريخ أيضا"(**3**).

لقد سمحت لنا قراءتنا المتواضعة لعدد من الدراسات الوقوف على الكثير من هذه التعريفات المختلفة والمتناقضة أحيانا والمكررة لبعضها البعض أحيانا والغريبة أحيانا أخرى. وكل باحث صنع للأسطورة تعريفا خاصا تماشيا ومفهومه لها من حيث ما تحتويه من قيم وعناصر ورموز وكذا ما تمثله في المنظومة الفكرية و التاريخية والعقائدية للشعب الذي يحتضنها ويعمل على تسيير واستثمار دلالاتها ورموزها من أجل قول ثقافي أوديني أو حضاري أو تاريخي أو فلسفي أو معرفي. فلقد ذهب العلماء في هذا الصدد " مذاهب شتى ، فمنهم من رأى في الأساطير حكايات في الدين ... ومنهم من ذهب إلى استنباط فلسفة الأولين... ومنهم من سلك مسلك التشبيه والمجاز ،فقال أن المقاتلة بين الإلهة ليست بمقاتلة حقيقية بل يعبر بها عن تنازع بين عناصر مختلفة مثل الهواء والماء ، والنار والتراب، أو بين عواطف نفسانية مثل الحب والعداوة، ومنهم من قال أن الأسطورة هي التاريخ في صورة متنكرة... ومن هنا يظهر أن كل واحد من العلماء اختار نوعا من أنواع الأساطير ولم يضع تعريفا جامعا مانعا للأساطير بأسرها".(**4**)

لقد شغل البحث عن تعريف علمي للأسطورة مخيال عدد من العلماء المحدثين في مجالات مختلفة وكل عالم حاول أن يصنع لها تعريفا حسب فهمه لها وحسب المادة العلمية التي وفرتها له من حيث بحثه في قضايا الإنسان وفي مسيرته التاريخية والحضارية وفي بناءه الاجتماعي

والسياسي والعقائدي والاقتصادي والفني والفلسفي. وظهر ذلك جليا عند عدد من المفكرين والفلاسفة منذ بداية القرن الثامن عشر وما تلاه حيث "نبغ فيمن نبغ من المفكرين ماكس ميلر وربرت سبنسر _الذي فسر الأساطير في ضوء علم الاجتماع_اهتما بالأساطير اهتماما كبيرا، وبذلا المجهود في تحديد معناها فقال ماكس ميلر:أنها مرض من أمراض اللغة، فسلك مسلك عالم اللغات .و جاء بعده سسبنسر فما كانت الأسطورة في رأيه إدراكا مبتدئا بل إدراكا خاطئا . ومن أراء هذين المفكرين نعلم أنهما جعلا الأساطير مرآة لقراءة نفسية الذين ألفوا الأساطير،فرأى ميلر أن القدماء كانوا عاجزين عن الإعراب عن ضمائرهم بلسان مبين،أما سبنسر فانه حسب الأولين قاصرين عن فهم معنى الموجودات حيث قال أنهم مخطئون في إدراكها."(**5**)

لقد تعددت التعريفات واختلفت، وفي اعتقادنا إن أسباب هذه الاختلافات تعود بالدرجة الأولى إلى صعوبة فهم الأسطورة في حد ذاتها، ثم محاولة القبض على دلائليتها الرمزية ،هذا بالإضافة إلى صعوبة فهم وإدراك الأطر البشرية والثقافية والنفسية والاجتماعية والتاريخية والجغرافية والبيئية والدينية والسياسية التي احتضنت ولادة الأسطورة بصفة عامة.

وفي كل مرة يتساءل الباحثون عن ماهية الأسطورة ، فان نيتهم المعرفية قد تتعدى الطرح البيداغوجي التعليمي الخاص بالتعريفات الشكلية البسيطة . فان هذه النية تخفي في ثناياها طرحا معرفيا وايدولوجيا أكثر عمقا وأكثر انخراطا في الذات البشرية، وذلك مرتبط أصلا بمحاولة الإجابة عن التساؤلات التي تطرحها الأسطورة والتي يراها بعض الباحثين محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة، أو هي تفسير له. إنها نتاج وليد الخيال، ولكنها لا تخلو من منطق معين ومن فلسفة أولية تطور عنها العلم والفلسفة فيما بعد. وعلى هذا فان الأسطورة

الكونية شأنها شأن الفلسفة تتكون في أولى مراحلها عن طريق التأمل في ظواهر الكون المتعددة. والتأمل ينجم عنه التعجب، كما أن التعجب ينجم عنه التساؤل".(**6**)

ولعل ما يمكن الإشارة إليه، إن الأسطورة الحقيقية من حيث الماهية ومن حيث النشأة الأولى ومن حيث الفاعلية الفكرية والثقافية ومن حيث النمذجة المثالية على حد تعبير مرسيا الياد فهي"تروي لنا تاريخا مقدسا،حدثا بدئيا جرى في بداية الزمان.لكن رواية تاريخ مقدس تعني الكشف عن سر،لأن شخصيات الأسطورة ليسوا كائنات بشرية: هم آلهة أو أبطال حضارة، ولذلك كانت بوادرهم أسرارا: لا يسع الإنسان معرفتها إذا هي لم توح له الأسطورة ،إذن هي تأريخ ما حدث في ذلك الزمان، وقول أسطورة هو إعلان ما حدث في الأصل...الأسطورة تعلن ظهور وضع كوني جديد أو حدث بدئي. هي دائما رواية خلق: تروي كيف حدث شيء ما، كيف بدأ يكون"(**7**).

وقد اهتم الفكر العربي المعاصر اهتماما كبيرا بالأسطورة وخاصة في مجال النقد الأدبي والفلسفة والانثروبولوجيا. وكان لنقد الشعر العربي الحديث حصة الأسد من هذا الاهتمام حيث اتجه النقاد نحو البحث في وعن الأسطورة و الرمز في القصيدة العربية وخاصة القصيدة الجديدة أو الحديثة والتي رفع لواءها عدد من الشعراء العرب المحدثين أمثال بدر شاكب السياب ونازك الملائكة ويوسف السعدي وخليل حاوي وجبران خليل جبران ومن تبعهم في ذلك الاتجاه الشعري مواصلا في التفعيل الحداثي للشعر العربي أمثال أدونيس ونزار قباني و محمود درويش وعزالدين المناصرة وغيرهم والذين تفاعلوا مع الأسطورة كمادة خام في بناء القصيدة وفي مساءلة الذات الإنسانية والوجود والكون والتاريخ...

ولا يمكن الحديث عن الأسطورة في الثقافة العربية دون الحديث عن مكانتها في الأدب الشعبي وفي مجال المرويات والسرديات وخاصة الحكايات الشعبية والخرافية .

لقد أولاها المهتمون بالدراسات الشعبية عناية كبيرة. غير أن الواقع المعرفي والنقدي لهذا الاهتمام لم يكن هادئا حيث كاد أن يعصف بكيانها المعرفي والتاريخي ،فلقد عرف خلطا كبيرا بين الأسطورة كجنس معرفي وفكري وثقافي وأدبي والحكاية الخرافية والحكاية الشعبية، بل أبعد من هذا وذاك، لقد وضعت الأسطورة في المقابل الدلالي والوظيفي والإبداعي للحكاية الخرافية وللحكاية الشعبية " فكثيرا ما يتردد على الألسن كلمتا خرافة وأسطورة بوصفهما كلمتين مترادفتين. فالأسطورة والخرافة كلمتان متساويتان تماما في المعنى عند كثير من الناس وذلك لأن كليهما يصور الشيء البعيد عن المنطق والمعقول. ولكننا عندما ندرس الأنواع الأدبية الشعبية ، يتحتم علينا أن نفرق تفرقة تامة بين الأسطورة والخرافة، إذ أنهما نوعان أدبيان يختلفان تماما من حيث الدافع والشكل. حقا أن هناك صلة بين الحكاية الخرافية والأسطورة، تتمثل في كونهما يحققان في الغالب هدفا واحدا وهو إعادة النظام للحياة، ومع ذلك فان الأسطورة تنتمي إلى سلوك روحي أخر غير الذي تنتمي إليه الحكاية الخرافية "(8).

ومهما يكن من أمر، تبقى عملية إيجاد تعريف واحد وموحد للأسطورة عملية صعبة ومعقدة وذلك يعود في اعتقادنا المتواضع إلى التقاطع والتداخل الكبيرين بين الأسطورة وعدد من الأشكال التعبيرية والتي ارتبطت بالمسيرة العقائدية والفكرية والفلسفية والثقافية و التاريخية والحضارية والاجتماعية والنفسية والسياسية بحياة الجنس البشري منذ أن وجد على هذه

المعمورة، هذا من جهة ،ومن جهة أخرى،إلى الطابع الشفوي الذي تكفل برواية ونقل الأساطير من جيل إلى جيل أخر، ومن ثقافة إلى ثقافة أخرى، ومن شعب إلى شعب أخر، في غياب التدوين والتكفل بلا قيد ولا شرط بعملية القص وألحكي عند الشعوب المختلفة والتي كثيرا ما تتقاسم نفس الأساطير، ومن جهة ثالثة تعود هذه الصعوبة إلى قدم قد هذه النصوص وارتباطها القوي بتاريخ الإنسان الأول وبأفكاره وتأملاته وأطروحاته الخاصة بالآلهة وبالعالم وبالكون وبالطبيعة وبالحيوان.إن المسيرة المعرفية لجنس الأسطورة مسيرة زئبقية وغير ثابتة في الزمان وفي المكان وفي الثقافة. وهذا ما صعب عملية المقاربة العلمية للأسطورة وتحديد لها تعريف عام وشامل أو على الأقل يكون حوله إجماع معرفي. وفي هذا الصدد بالذات يقول مرسيا الياد وهو أحد الباحثين والخبيرين المضطلعين على خبايا أساطير الشعوب المختلفة ثقافة وعقيدة وجغرافية:"انه لمن الصعوبة بمكان إيجاد تعريف واحد قد يكون مقبولا ومتفق عليه لدى كل العلماء وفي نفس الوقت يكون مفهوما لدى غير المختصين. ومن هذا المنطلق نتساءل هل بالإمكان إيجاد تعريف واحد قادر على احتواء كل أنواع الأساطير ووظائفها وفي كل المجتمعات البدائية والتقليدية؟ إن الأسطورة واقع ثقافي معقد جدا وبإمكانه أن يكون متناولا ومؤولا وفق تصورات متعددة ومتكاملة."(**9**)

ومهما يكن من أمر، فلقد اهتم بالأسطورة عدد كبير من الباحثين في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية من لغة ونقد وانثروبولوجيا وتاريخ وحضارة وعلم الآثار وعلم الاجتماع وعلم النفس والدين وعقيدة وغيرها من المعارف. كما أنتج هذا الاهتمام مادة أدبية ومعرفية غزيرة سواء من حيث الجمع والتدوين أو من حيث الدراسة والتحليل وفق أطروحات ومقاربات منهجية مختلفة. كما أن صعوبة مقاربتها لم تمنع الباحثين من المغامرة العلمية وهذا

ما زاد في التعدد المعرفي المهتم بها و في قوة شغف والتعلق بها. وقد يتجلى كل هذا من بعض التعريفات المحملة بأكثر من دلالة وبأكثر من وظيفة.إن بعض التعريفات تكشف لنا عن الخصوصيات الرمزية و المعرفية والموضوعاتية المتعددة و المتنوعة التي قد تشيعها نصوص الأساطير والتي قد يقف عندها كل باحث وفق رؤيته الخاصة للأسطورة وللفكر الأسطوري ووفق مقاربته لنصوصها. واختصارا للمسافة نذكر هذا التعريف الذي أدرجه الدكتور شاكر مصطفى سليم في قاموس الانثروبولوجيا الانكليزي_العربي، يقول مترجما الكلمة"ميت"

Mythe: "ميت" :"أسطورة:قصة تقليدية، من عالم غير موجود، وزمن غير معروف، ولمؤلف مجهول.أبطالها خيالون، وهم رجال، وحيوانات، والهة، وأرواح، ومخلوقات فوق طبيعية، وتفسر الأسطورة نشأة ومعاني الأعراف، والمعتقدات،والظواهر الطبيعية،أو أية حقائق أخرى يعجز أفراد المجتمع عن تفسيرها.والموضوعات الرئيسة التي تتناولها الأسطورة هي:خلق الكون،و الإنسان، والموت ، وكيفية حصول الشعب على الموطن الذي يسكنه، وما يشبه ذلك. وتلعب الأسطورة دورا رئيسا في الحياة الاجتماعية والدينية للشعوب البدائية، خاصة وأن طقوس تلك الشعوب و احتفالاتها، ونظمها الخلقية والاجتماعية،تحتاج إلى تبرير، أو ربط بالماضي، أو إلى جو من التقديس".(**10**)

Mythologie:كما ترجم كلمة ميثولوجيا:"علم الأساطير: دراسة الأساطير(...)باعتبارها ظواهر اجتماعية، علمية. وقد بدأ الاهتمام بدراسة الأساطير في القرن الثامن عشر.ثم جاء(ملر)(...) فربطها بالفيلولوجيا (...) وربطها تايلر وفريزر بالانثروبولوجيا."(**11**)، وقد فضل عدد من الباحثين العرب الاحتفاظ بمصطلح في صيغته المعربة بدون ترجمة ، فاستعملوا كلمة ميثولوجيا.

تقاطع الأجناس:الأسطورة والأشكال التعبيرية الأخرى.

فنحن لا ننكر التقاطع والتقارب الممكن بين هذه الأجناس والتي قد تشترك في عدد من المواصفات وفي عدد من العناصر البنيوية والنصية، ولكنها تختلف فيما بينها في مسائل جوهرية من حيث الأطر المادية والمعنوية والسلوكية ومن حيث النشأة. لقد ولدت الأسطورة ضمن إطار ثقافي وتاريخي وحضاري وعقائدي ارتبط ارتباطا عضويا بمسيرة الإنسان الذي ظل مصابا بهاجس الآلهة وبهاجس الصراع من أجل الحياة وبهاجس الثنائيات الحياتية الممكنة بين الخير والشر والعالم العلوي السماوي والعالم السفلي الأرضي. فهي تمثل مرحلة من مراحل تاريخ البشرية في ظل الصراعات الكامنة والممكنة بين قوى الخير والشر والطبيعة والثقافة، كما أن المعنى الأساسي للأسطورة يتجلى في ذلك الصراع الخفي والمختفي بين طياتها من أجل تعبير عن لحظات من الوعي البشري بذاته وبالكون وبعلاقات الإنسان مع نفسه ومع الآلهة ومع الطبيعة ومع الأشياء ومع الحيوانات .ومن هذا المنطلق يمكننا أن نقول أن الأسطورة نمط تعبيري ووعاء حامل لفكر جماعة ولتاريخ وجودها الهادئ والعنيف والصاخب هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فهي تعبير عن فكر وتصور وإدراك مباشر أو غير مباشر للكون . فالأسطورة هي ترجمة لاتحاد"بين الذات والموضوع، فمثلا عندما كانوا يشاهدون غروب الشمس وشروقها كانت تجري في نفوسهم عملية تستند إلى نوع من التوحيد بين الذات والموضوع، وينتهي هذا التوحد ببروز شيء هائل عجيب لا تلبث النفس البشرية أن تسقطه في الخارج في هيئة الإله أو ما شابه ذلك. وهكذا كان ظهور الأساطير، تعبيرا عن مجريات الأمور في أعماق النفس البشرية في مقابل أحداث الطبيعة الخارجية"(**12**).

إن الحديث عن التقاطعات الكائنة والممكنة بين الأسطورة والأشكال التعبيرية الأخرى يذكرنا أيضا بموقف العلامة الأنثروبولوجي الشهير كلود ليفي ستراوس وصاحب الباع الطويل في البحث الأنثروبولوجي الأسطوري والذي ربط بين الأسطورة والموسيقى حيث يقول :" أنه لا توجد علاقة واحدة بين الأسطورة والموسيقى بل علاقتان إحداهما خاصة بالتشابه والتماثل والأخرى خاصة بالتجاور أو القرب، وإنهما في حقيقة الآمر ،كان بالفعل شيئا واحدا. وفيما يتعلق بالجانب الخاص بالتشابه، فان رأيي الأساس هو أنه بالضبط كما في حالة المقطوعة الموسيقية أنه من المستحيل أن نفهم أسطورة ما على أنها سلسلة متصلة، وهذا هو السبب الذي يلزمنا أن نكون على وعي بأنه إذا حاولنا أن نقرأ إحدى الأساطير كما نفعل عندما نقرأ رواية أو مقالا في جريدة يومية ،أي سطرا بعد أخر، ومن الشمال لليمين، فإننا لن نفهم أسطورة، وذلك لأنه يجب علينا أن نتفهمها ككل متكامل وأن نكتشف أن المعنى الأساسي للأسطورة لا ينتقل من خلال سلسلة من الأحداث ولكن إذا كان علي أن أقول ذلك من خلال حزمة من الوقائع أو الأحداث و ذلك رغم هذه الوقائع أو الأحداث قد تظهر في لحظات مختلفة من القصة. ومن أجل ذلك، فان علينا أن نقرأ الأسطورة بشكل يزيد أو يقل، كما نقرأ مقطوعة للاوركسترا. ليس من خلال قراءة مقطع وراء الأخر، ولكن من خلال فهمنا بأنه لا بد أن نتفهم وأن نفهم كذلك بأن شيئا ما قد كتب في المقطع الأول أعلى الصفحة يكتسب معناه فقط من خلال نظرنا إليه باعتباره جزء أو قطعة مما كتب أسفله في المقطع الثاني والثالث...وهكذا ، وهذا يعني أن علينا ألا نقرأ من اليسار إلى اليمين ولكن أيضا وفي نفس الوقت ورأسيا من أعلى إلى أسفل، من القمة إلى القاع. وعلينا أن نفهم أن كل صفحة هي كل وأنه من خلال معاملة الأسطورة كما لو

كانت عملا أوكستراليا فقط كتبت مقاطعه واحدا بعد الأخر، وأنه يجب أن نفهمه كعمل كلي. هكذا يمكننا أن نستخلص المعنى من الأسطورة."(**13**)

المقاربات ومناهج دراسة الأسطورة.

شكلت الأساطير موضوعا خصبا للعديد من الدراسات وذلك وفق مناهج ومقاربات ومقاصد مختلفة. ولعل أهم هذه المقاربات المقاربة التاريخية والمقاربة الأخلاقية والمقاربة النفسية والمقاربة الاجتماعية والمقاربة البنيوية.

1_المقاربة التاريخية:

تعاملت المقاربة التاريخية مع الأسطورة باعتبارها"تروي قصصا وأحداثا تاريخية والتي كان لها أثر كبير في حياة الشعب أو المجتمع الذي وجدت فيه...إن المدرسة التاريخية تهدف إلى محاولة إعادة بناء التاريخ،أي إعادة تركيب الحوادث والوقائع التاريخية نفسها على أساس هذه الأساطير."(**14**).وعلى الرغم من احتواء نص الأسطورة على مادة خيالية غزيرة والتي قد لا تحدها حدود ، وعلى الرغم من الحضور القوي للشخصيات خيالية وغير واقعية، وعلى رغم من طبيعة الصراع بين الآلهة نفسها وبين الآلهة والإنسان وبين الإنسان والحيوان وبين الإنسان ومظاهر الطبيعة وبين الإنسان والغيلان والسحرة ،فان كل هذا لا ينفي الطابع التاريخي الواقعي والمادي لعدد من محطاتها ولعدد من الأحداث التي تحتويها نصوص الأساطير.إن بعض من هذه الأحداث قد وقع تاريخيا واستثمرت المرويات والسرديات بعض من عناصرها من أجل أسطرة بعض الجوانب المختفية في منطقة شعور ولاشعور الذات البشرية. وقد لا يمكن للمؤرخ الاستغناء عن نصوص الأساطير في قراءة وكتابة بعض المحطات من تاريخ البشرية وتاريخ المجتمعات وتاريخ الشعوب."فالأسطورة هي حكاية تقليدية تروي

وقائع حدثت في بداية الزمان وتهدف إلى تأسيس أعمال البشر الطقوسية حاضرا، وبصفة عامة إلى تأسيس جميع أشكال الفعل والفكر التي بواسطتها يحدد الإنسان موقعه من العالم. فالأسطورة تثبت الأعمال الطقوسية ذات الدلالة وتخبرنا عندما يتلاشى بعدها التفسيري بما لها من مغزى استكشافي وتتجلى من خلال وظيفتها الرمزية أي مالها من قدرة على الكشف عن صلة الإنسان بمقدساته."(**15**)

إن المقاربة التاريخية للأسطورة هي مقاربة كونية رمزية ،قد تنطلق من التاريخ لتتعداه نحو أفق أرحب وأوسع. فهي ليست مقاربة تاريخية كلاسيكية ضيقة ومحدودة من حيث المقاربة اللصيقة بالأحداث الخاضعة لشروط الزمان والمكان والأفراد أو الجماعات الوطنية. فهي تساءل التاريخ الكوني للذات البشرية عبر "مجموعة من الأحداث هي حاضرة في عمق التجربة البشرية وتستمد أصولها منها. إنها حية و تتجدر في سلوكات وحركات الأفراد ،وغالبا ما تعطي لتلك السلوكات دلالة رمزية ووجودية، أي ثقافية. إنها تخرج بها من المستوى اليومي وتعطيها أبعادا شمولية، فترفع بذلك الحدث أو السلوك البشري –الجماعي أو الفردي–من مستوى الزمن السيكولوجي أو الاجتماعي الضيق...إلى مستوى الزمن الكوني الكبير، زمن الأصول والبدايات."(**16**)

2_ المقاربة الأخلاقية:

تفسر المقاربة الأخلاقية " الأساطير على أنها مجرد تعبيرات رمزية تهدف إلى نصائح وإرشادات خلقية، كما ترمي إلى الحث على مكارم الأخلاق. تزخر نصوص الأساطير بقيم أخلاقية كثيرة فهي تتحدث عن الخير وعن الشجاعة وعن المروءة و عن الصبر وعن الحب وعن التضامن ونصرة الضعيف وعن الحرية وعن الكرامة وعن الشرف وغير هذا من القيم

الإنسانية النبيلة التي تتجلى من خلال الرموز وحركات الشخصيات المتصارعة من أجل قيم الخير ونبذ الشر...يبقى بطل الأسطورة رمز القوة ورمز الانتصار والحرية والتضامن مع أبناء جلدته من أجل أنقاضهم من الشر والدفاع عنهم ضد المعتدي، فهو دائما الرمز المناهض للشر وللأشرار...ومن هذا المنطلق تبقى الأسطورة تتمتع بقيمة ثقافية وأخلاقية كبيرة في المنظومة الفكرية والثقافية والنفسية والاجتماعية والعقائدية للشعوب. فالأسطورة هي موقف وخطاب قد يبدو لاواقعيا أو وهميا، ولكنه تعبير حقيقي وصادق تسعى ذاكرة الشعوب إلى تفعيله من أجل مقاومة نسيان البدايات والأصول والتشبث بالذاكرة الإنسانية التي قد تضمن للبشر وظيفة الأمن والطمأنينة في خضم الصراعات التي كادت أن تفقد الإنسان هويته.فالأسطورة هي حلم بالزمن الأبطال والبطولات وإنقاذ الإنسانية من هول الزمن الحاضر أي زمن فقد هويته الحضارية والأخلاقية .فالأسطورة هي أيضا أمل الإنسان و سعادته ، و هي قيم متصارعة تنتهي دوما وأبدا بانتصار الخير على الشر... وبصفة عامة فهي" الأخلاق ،إذ هي تقدم من خلال التاريخ و الدين و المعرفة نموذجا ومثلا أعلى للتصرف و السلوك يتم إحياؤه وإخراجه إلى حيز الوجود من خلال حفظ الأسطورة قولا وفعلا، أي من خلال المناسك والشعائر وضمان استمرارها."(**17**)

3_ المقاربة النفسية :

ولقد ارتكزت المقاربة النفسية "على فكرة اللاشعور فردي في حالة "فرويد" ولا شعور جمعي في حالة "كارل يونج".فقد رأى فرويد أن الأسطورة حقيقة نفسية وأن هناك تشابها بين الأسطورة والحلم من حيث آليتها ورموزهما ، فهي نتاج العمليات اللاشعورية .ففي الأسطورة كما في الحلم تقع الأحداث حرة خارج قيود الزمان والمكان. "لقد وقف أصحاب الاتجاه

النفسي عند التفسيرات النفسية والتي اعتاد عليه أتباع فرويد وكارل يونج سواء على مستوى لاشعور الفردي أو على مستوى لا شعور الجمعي والتي مفادها أن كل عمل إبداعي فكري وثقافي وعقائدي واقتصادي و سياسي هو انعكاس لرغبة مكبوتة ولنقص ما يعاني منه الفرد. فالأسطورة والتي تتقاطع تقاطعا كبيرا مع الحلم هي "عبارة عن انعكاسات لرغبات مكبوتة تنطلق من عقالها بعيدا عن رقابة العقل الواعي الذي يمارس دور الحارس على بوابة الشعور. وعلى ذلك فالأسطورة مليئة بالرموز التي إن فسرت تقدم الفهم العميق لنفس الإنسان الخافية ورغباته."(**18**).غير أن المقاربة النفسية الفرويدية لم تستلم من الانتقادات حيث انه قد يعاب عليها تلك "النزعة التقليصية المغالية المتمثلة في اعتبار الغريزة الجنسية القطب الذي تدور حوله حياة الطبيعة وحياة الإنسان واعتباره أن الرمز مجرد ظاهرة مرضية لا غير. وفي سلوكه مسلك الطبيعيين وقوله بأن الأساطير تصور قضية أبدية هي قصة رغبتين أساسيتين تسلطتا على الإنسان منذ العصور ما قبل التاريخ هما رغبة قتل الأب من جهة ورغبة الزواج من الأم من جهة أخرى.كما يأخذ عليه بعضهم (أي على فرويد ومدرسته) أنه حصر حقيقة الميثولوجيا في أنها مجرد تكرار ملح لبعض التصورات اللاشعورية المركزة على الجنس."(**19**)

4_ المقاربة الوظيفية الاجتماعية:

وهي المقاربة التي نادى بها العلامة مالينوفسكي فقد ارتكزت على"ثلاث قضايا هامة وهي: التأكيد على الناحية النفعية وارتباط الأسطورة بالسياق الاجتماعي وأخيرا ، ارتباط الأسطورة بالشعيرة. في ضوء الناحية النفعية يطبق مالينوفسكي نظريته عن الثقافة باعتبارها وسيلة لإشباع حاجات ضرورية لدى الأفراد والجماعة على الأسطورة، فهو يقرر أن الأسطورة تروى

لإشباع حاجات دينية عميقة، ونوازع أخلاقية وتوكيدات اجتماعية وحاجات نفعية. وكذلك فان الأسطورة في الثقافة البدائية تلبي وظيفة اجتماعية لا غنى عنها .فهي تعبر وتعزز وتقنن الاعتقاد كما أنها تشهد على فعالية الشعائر وتحتوي القواعد النفعية لإرشاد الإنسان."(**20**)و قد يتجلى من مقاربة مالينوفسكي للأسطورة العناية الكبرى بالسياق الاجتماعي سواء الذي تتحدث عنه الأسطورة أو السياق الاجتماعي الذي يروي الأسطورة ويمارس فعل ألحكي الأسطوري .وقد يكون السياقان مختلفين من حيث الزمن أي زمن الأسطورة الداخلي أي زمن النص وزمن الأحداث وزمن الرواية والحكاية أي الزمن الخارجي، زمن الناس الذي تعلقوا بالأسطورة وتناقلوها فيما بينهم رواية، وهو زمن الحاضر الاجتماعي الذي يتبنى الأسطورة وقد يستثمر ويستنفع(المنفعة) من رموزها وقيمها وأفكارها ومعانيها. ومن هذا المنطلق" لم يعتبر مالينوفسكي الأساطير كمجموعة من الأفكار المجردة. فالأساطير لها علاقة بالثقافة الوطنية والتنظيم الاجتماعي بالاهتمامات النفعية لأنه لا يمكن أن تنزع من سياقها الحي وتدرس كيفما تبدو على الورق وليس فيما تقوم بتأديته في الحياة."(**21**)

5_ المقاربة البنيوية:

يمثل المقاربة البنيوية وبدون منازع العلامة الشهير كلود ليفي ستراوس والذي ارتبط اسمه بالأنثروبولوجيا البنيوية و بعلم الأساطير أو الأسطوريات.

لقد أفنى حياته في دراسة الأساطير ومتابعته لها في العديد من مناطق العالم وخاصة في المجتمعات أمريكا الجنوبية، حيث أقام مدة من الزمن باحثا ومدرسا.لقد أنتج أربع دراسات

حول الأساطير لا زالت تشكل مصادر ومراجع مهمة وأساسية في البحث الأنثروبولوجي البنيوي والأسطوري.

سوف نناقش بعض المسائل المعرفية و المنهجية و الموضوعاتية التي طبعت أبحاث كلود ليفي ستراوس في مجال الأسطورة و التي أهلته إلى احتلال مكانة الريادة إلى درجة أصبح اسمه مرادفا للبحث الأسطوري وفق المقاربة الأنثروبولوجية البنيوية.

الدراسات(**22**)

Volume 1 :Mythologies _ Le cru et le cuit

الجزء الأول:أسطوريات_النيئ و المطبوخ

Volume 2 :Mythologies _ Du miel aux cendres

الجزء الثاني:أسطوريات_من العسل إلى الرماد

Volume 3 :Mythologies _L'origine des manières de table

الجزء الثالث:اسطوريات_أصل عادات الطاولة(الأكل)

Volume 4 :Mythologies _L'homme nu

الجزء الرابع:اسطوريات_الانسان العاري

منذ البداية نقول أنه لا يمكن فهم المقاربة المنهجية التي تبناها كلود ليفي ستراوس في تحليله لنصوص الأساطير دون معرفة أولا وقبل كل شيء مفهومه للأسطورة ثم البنيوية وأخيرا المرجعية المعرفية التي اعتمدها في بناء منهجه و مقاربته.

لقد عرف كلود ليفي ستراوس الأسطورة أنها قصة ترويها الشعوب أو تحب سماع روايتها فهي" تروي أحداثا من الزمن الماضي، زمن ما قبل خلق العالم...أو.. من الأزمنة الأولى...وعلى كل الحال...منذ مدة طويلة...ولكن القيمة الجوهرية التي تتميز بها الأسطورة

تتمثل في كونها تروي أحداثا من المفترض أنها وقعت في لحظة ما من الزمن كما أنها تشكل أيضا بنية ثابتة، والتي قد تكون مرتبطة في نفس الوقت بزمن الماضي والحاضر والمستقبل (23)

أما الطرح البنيوي الذي تبناه والذي اعتمده بل وأسس له فهو يقوم أصلا على متابعة الظاهرة الإنسانية والاجتماعية على أساس أنها بنية قائمة على مجموعة من العناصر.

إن الطرح البنيوي أو البنيوية" تعني الكيفية التي شيد عليها بناء ما. وانطلاقا من هذا المفهوم أصبحت الكلمة تعني الكيفية التي تنتظم بها عناصر مجموعة ما. أي أنها تعني مجموعة العناصر المتماسكة فيما بينها بحيث يتوقف كل عنصر على باقي العناصر الأخرى، وبحيث يتحدد هذا العنصر بعلاقته بتلك العناصر. فالبنية هي مجموع العلاقات الداخلية الثابتة التي تميز مجموعة ما، بحيث تكون هناك أسبقية منطقية للكل على الأجزاء: أي أن أي عنصر من البنية لا يتخذ معناه إلا بالوضع الذي يحتله داخل المجموعة، وأن الكل يبقى ثابتا بالرغم مما يلحق عناصره من تغيرات. وعلى هذا فالبنيوية توجه اهتماما بالأساس نحو دراسة العلاقات التي تنظم عناصر أي كل أو بنية، كما تهتم بكشف الارتباطات القائمة بين البنيات المختلفة بعضها ببعض، كما أن البنية بهذا المعنى تكون منهجا للبحث والدراسة أكثر منها مذهبا فلسفيا مغلقا أو علما ثابتا محددا. إنها منهج يدرس العلاقات دون الأشياء وذلك بهدف فهم بنيتها. (24)

كما طعم كلود ليفي ستراوس فكره النقدي من أعمال وأطروحات الشكلانيين الروس وعلى رأسهم الباحث الإثنولوجي فلادمير بروب وكتابه الشهير "مورفولوجية الخرافة"(25) والذي اهتم به اهتماما كبيرا حيث درسه وانتقده في العديد من المحطات مستفيدا منه من

حيث طبيعة المقاربة الشكلية لنصوص الحكاية الخرافية الروسية. كما أنه تأثر كثيرا بأعمال اللسانيين بصفة عامة .غير أن المصدر المعرفي القوي والذي كان له أعمق التأثير في فكر كلود ليفي ستراوس هي الدراسات اللسانية الحديثة التي جاء بها فرديناد دي سوسير وما أحدثه من ثورة معرفية في مجال اللغويات سواء من حيث الأفكار والأطروحات أو من حيث المفاهيم والمصطلحات مثل الدال والمدلول والدلالة والعلامة اللسانية والتزامن والتعاقب والنظام والسياق والبنية. كما استفاد وبصورة مباشرة من علم الصوتيات والذي حاول تطبيق بعض آلياته المعرفية والمنهجية في دراسته لنظام القرابة وفي تحليلاته الدقيقة للأساطير. لقد كان للقائه برومان جاكبسون في نيوبورك عام 1941 أثر كبير في حياته العلمية وفي انفتاحه على البنيوية اللسانية والتي اعتنقها وتبناها منهجا علميا في مقاربته للقرابة والأساطير. وتجلى ذلك في عدد من أعماله البحثية والتي اعتبرها المفكرون والنقاد وعلماء الانثروبولوجيا مصادر ومراجع جد مهمة في مجال البحث الاجتماعي والإنساني بصفة عامة ،وكذا اطلاعه على علم الصوتيات وخاصة أبحاث صوتيات العالم الروسي تروبتزكوي فتح له المجال واسعا لقراءة الظواهر الاجتماعية والإنسانية والأدبية والفكرية والثقافية وفق أطروحات علم الصوتيات، حيث تبنى في أطروحاته وفي مقاربته أربعة مبادئ مستوحاة من المقاربة الصوتية للغة وهي: دراسة البنية التحتية اللاشعورية للظواهر ممكن إدراكها، ومعالجة الامتيازية للعلاقات ما بين العبارات بدلا من معالجة العبارات في حد ذاتها ، وإبراز الأنظمة واكتشاف القوانين بطريقة استقرائية واستنباطية. لقد تعامل كلود ليفي ستراوس مع الظواهر الاجتماعية والإنسانية وفق المنهجية نفسها التي يتعامل بها الباحث في علم الصوتيات مع الظواهر اللغوية. لقد اعتمد في مقاربته لموضوعات اجتماعية وعلى رأسها موضوع القرابة المقاربة نفسها التي

اعتمدها عالم الصوتيات الروسي تروبتزكوي في دراسته الصوتية للمظاهر اللغوية. وقد كتب في سنة 1945"أنه لا يمكن للفونولوجيا أن تتراجع عن الدور الذي قد تلعبه اتجاه العلوم الاجتماعية، فهو الدور نفسه بالتحديد الذي لعبته الفيزياء النووية بالنسبة لمجموع العلوم الدقيقة. لقد طبق فعلا الإجراء الفونولوجي في دراسة أنساق القرابة في المجتمعات المسماة بالبدائية...قد يجد عالم الاجتماع نفسه في دراسته لانساق القرابة(وبدون شك في دراسته لمشاكل أخرى)في وضعية مماثلة من حيث الطرح الشكلي لوضعية ألألسني الفونولوجي: إن عناصر القرابة تشبه الفونيمات. فهي عناصر دلالية ولا تتحدد دلائليتها إلا باندماجها في نسق ما. فالأنساق القرابية مثلها مثل الأنساق الفونولوجية يبلورها العقل على مستوى الفكر اللاواعي. وفي الأخير ، فان تكرار أشكال قرابة وقواعد الزواج وسلوكات متشابهة ومقررة بين بعض الأنماط العائلية الخ... في مناطق مختلفة من العالم وفي مجتمعات جد متباينة يجعل الاعتقاد في هذه الحالة كما هو في حالة أخرى، أن الظواهر القابلة للملاحظة هي وليدة تفاعل قوانين عامة لكنها خفية."(**26**)

ومن هذا المنطلق، تتجلى المرجعية اللسانية البنيوية في مقاربة كلود ليفي ستراوس للأسطورة بداية من تعريفه لها وطبيعة مقاربة نصوصها حيث " رام تعريف الأسطورة من حيث علاقاتها باللغة ومن حيث خصائصها ومميزاتها المترتبة عن وضعها ذاك وضبط منهج العمل الواجب توخيه عند التقطيع الأساطير وقراءتها وفهمها وتأويلها.أما من حيث وضعها لغويا،فالأسطورة تنتمي إلى صعيد الكلام بالمعنى الذي حدده فرديناند دي سوسير،كما تنتمي إلى صعيد أخر هو صعيد الخطاب،فهي جزء من الكلام بحكم مادتها ،إلا أنها كلام متميز لأنها تعبير لغوي على درجة من التعقيد أشد مما نصادفه في أي تعبير لغوي عادي."(**27**)

ولعل أهم سؤال يفرض نفسه علينا في هذا الصدد هو:كيف تعامل كلود لفي ستراوس من الناحية المنهجية البنيوية مع الأساطير؟

منذ البداية "يقرر كلود ليفي ستراوس أن الأسطورة في جوهرها تقص حكاية، وأنها تتضمن خاصيتين: الخاصية الأولى أن الأسطورة تقص وقائع وأحداثا متناقضة كل التناقض، فلا منطق ولا استمرار فيها. و الخاصية الثانية هي التماثل الشديد بين خصائص وعناصر الأساطير التي جمعت من ثقافات متنوعة متغايرة في أقاليم مختلفة تماما من أنحاء العالم. ويرى كلود ليفي ستراوس أن ذلك التناقض الجوهري هو وحده الذي يمكن أن يوفر للباحث التفسير، تفسير الأسطورة وكذلك تفسير ذلك التماثل."(**28**)

وتتمثل تقنية كلود ليفي ستراوس في دراسته لنص الأسطورة كما يلي:

يقوم بتحليل نص الأسطورة إلى أصغر جملة ممكنة ، حيث يدونها على حدة في بطاقة خاصة تحمل رقما يساعده على معرفتها بسهولة كلما اقتضت ضرورة العودة إلى استنطاقها. ويتابع نفس العملية مع كل النصوص إلى أن يصل إلى النهاية وبطريقة رياضية يعتمد الترتيب والتصنيف الجمل أو الوحدات النصية المتشابهة. ومن هذا المنطلق قد يكتشف أن كل وحدة مكونة سوف تقوم بتكوين علاقة ما مع غيرها، والوحدات الكبيرة المكونة للأسطورة ليست هي العلاقات المنعزلة ولكنها حزم هذه العلاقات، وهذه الحزم فقط هي التي يمكن استخدامها ويمكن تركيبها أو دمجها معا من اجل استخلاص المعنى."(**29**)

ومن هذا المنطلق، قد يقارن كلود ليفي ستراوس بين أساطير شعوب العالم من حيث التشابه والاختلاف البنيوي، كما أن هذه المقاربة التقنية قد تؤهله إلى اكتشاف النموذج المثالي البنيوي الحاضر في كل الثقافات والجامع لكل الصفات والعناصر البنيوية والذي قد تشترك

فيه كل الأساطير سواء أكانت تحتوي كل الصفات وكل العناصر أو البعض منها. وقد تؤهله هذه المنهجية لقراءة كل الأساطير وفق مبدأ المقارنة والموازنة وتعويض النقص الذي قد يكتشفه على مستوى نص من النصوص عند شعب من الشعوب.كأن يجد نص أسطورة ناقصا من حيث الوحدات النصية فيلجأ إلى تفسيره في ضوء نص أخر يحتوي على وحدات نصية لا تتوفر في النص الأول وكأنه يحول النص الناقص حقيقة إلى نص كامل افتراضيا قادر على تكفل بالمعنى الغائب أو المسكوت عنه. وهكذا دوليك..." وقد تعد فكرة التحويل ما يميز تحليل ليفي ستراوس للأساطير. وجوهر فكرة التحويل هي أن الأساطير التي ناقشها تأتي من قبائل مختلفة ومن مصادر مختلفة كثيرة. ولذلك ففي ضوء فكرة التحول، فان الأسطورة التي يصعب تفسيرها في سياق جنوب أمريكا يمكن تفسيرها عندما توضع بجانب الأساطير في شمال أمريكا. والهدف من التحويل هو الكشف عن البناء الخفي وراء مجموعة من الأساطير."(**30**)

ونشير إلى أنه إضافة إلى الخصوصيات التقنية التي اعتمدها وتبناه كلود ليفي ستراوس في تحليله وتفكيكه وتصنيفه لنصوص الأسطورة، لقد تميز منهجه بصفة عامة من حيث البناء الاديولوجي والمعرفي والفلسفي بعدد من المرتكزات و التي شكلت اللسانيات البنيوية مادتها الخصبة بامتياز، وبالتالي قد لا يمكن فهم الطرح الكلود ليفي ستراوسي بدون المرور عبر هذه اللسانيات وما أنتجته من لغة ومن مصطلحات ومن أفكار ومن فروع وعلى رأسها علم الفونولوجيات أيضا وما أحدثته من طفرة نوعية علمية في المسيرة المعرفية و المنهجية والمفهوماتية للسيميائيات . لقد حدد كلود ليفي ستراوس مقاربته البنيوية للأسطورة على ثلاث مرتكزات أساسية وهي:

المرتكز الأول:إن الكلام متجانس على مختلف أصعدته.وأن نفس القوانين تتحكم في عمل وحداته بدء من أصغرها وهو الأصوات "اللفاظم"أو المفردات وهي التي تسمى عند الفرنسيين "مونيم" وعند الأمريكيين "مورفيم" والمداليل وصولا إلى الوحدات الأسطورية أو الميثمات جمع "ميثم" :وهي كل وحدة دلالية كبرى لها طابع العلاقة بناء على أن الوحدات الحقيقية المكونة للأسطورة ليست تلك العلاقات المنعزلة ولكن "باقات العلاقات" لأن التوليف بينها هو الذي يكسبها وظيفة دالة، وذلك هو معنى النظام فتقوم مجموعة الأساطير للميثم مقام اللغة للكلام."(**31**)

المرتكز الثاني:فهي البنية الخفية الرابطة بين مختلف وحدات الأسطورة بصفتها نظاما من العلاقات في حال معينة. إلا انه يمكن النظر إليها وفحصها بصرف النظر عن الزمان .فيتوصل إليها بإقامة جدول توزع عليه جميع الجمل المترجمة عن علاقات أو جميع العناصر من الرواية الواحدة.وحتى تتسنى المقاربة بين العنصر والعنصر المناسب له في جدول أخر لا فضل في ذلك لرواية على أخرى إلا بما تتميز به وتختلف عما سواها."(**32**)

المرتكز الثالث:فهي تغليب الشكل على الجوهر أو المضمون، فتتجلى أولا من خلال مثال التوزيع الذي يذكرنا في جداول أو لوحات تبعا لوجود رواية فأكثر من الأسطورة الواحدة وذلك بناء على أن حقيقة الأسطورة...لا يمكن في محتوى متميز وإنما تتمثل في علاقات منطقية تستنفذ خصائصها اللامتغيرة قيمتها العملية ،بما أن العلاقات المتشابهة يمكن أن تنعقد بين عناصر تابعة لعدد جم من المحتويات المختلفة."(**33**)

الخاتمة:

الانثروبولوجيا والأسطورة كلود ليفي ستراوس أنموذجا(1908_2009)

يتوقع الفكر البشري من الأسطورة أن تقدم له إجابات عن تساؤلات مرتبطة بمسيرته الوجودية والوجدانية، تساؤلات عديدة ومتنوعة قد تمس في الوقت نفسه مظاهر مادية ومعنوية وسلوكية من حياته كما قد تشمل المقدس والدنيوي والطبيعي والحيواني. فهي تساؤلات قد تبدو بسيطة مرتبطة بالمعاش اليومي ومقتضيات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية. إن الحضور القوي للأسطورة في المخيال البشري والعودة إليها والاستئناس بها قد يضمن للإنسان بعض الاطمئنان والحماية الرمزية من أهوال الزمن الحاضر، والحلم بزمن الأسطورة ،زمن الآمال، وزمن الإنقاذ والبطولات، وزمن انتصار الخير على الشر...غير أن هذه العودة إلى الزمن الأسطوري لا تضمن دائما تحقيق هذه الرغبة النفسية بقدر ما قد تؤهل الفكر البشري بصفة عامة إلى إعادة طرح السؤال الوجودي وسؤال الكون وما يدور في فلكه من عناصر ومن رموز قد تكون علاقتها اتصالية منسجمة أو انفصالية متصارعة مع الذات الإنسانية عبر مسيرتها العقائدية والتاريخية والاجتماعية والنفسية والثقافية والفلسفية والفنية. ومهما يكن من طبيعة العودة إلى الأسطورة أو عودة الأسطورة، فهي قد تحمل بين طياتها شيئا من المبررات عن عجز الإنسان في تفسير عدد من الظواهر والمظاهر والقضايا التي تجابهه والتي لم يرقى فكره إلى فهمها أو تفسيرها أو التحكم فيها وإخضاعها إلى منطقه. فقد تتحول في هذا الصدد الأسطورة إلى ملجأ و إلى وسيلة يحتمي بها أو يفسر بها ما بدا له غامضا أو غير مفهوما.

وفي اعتقادنا قد تشكل عودة الأسطورة إلى الفكر البشري واحتلالها هذه المكانة محاولة إدراكية وتصورية من العقل من أجل تفسير الوجود والوجدان الإنساني ماضيا وحاضرا ومستقبلا. ومن هذا المنطلق قد نقرأ العناية والاهتمام المعرفي الكبيرين لكلود ليفي ستراوس

بالأسطورة بحثا وجمعا وتدوينا ودراسة وتحليلا والعمل من أجل عقلنتها وإخضاعها إلى المنطق العلمي من أجل إيجاد إجابات شافية لكل تلك الأسئلة الوجودية المطروحة على الفكر البشري منذ القدم.وكما قال عبد الحق منصف و قد ذكرناه سابقا فان" الأسطورة لا تعني اللاواقعي أو الوهمي، بل مجموعة من الأحداث التي هي حاضرة في عمق التجربة البشرية وتستمد أصولها منها .إنها حية ومتجدرة في سلوكات وحركات الأفراد. وغالبا ما تعطي لتلك السلوكات دلالة رمزية ووجودية،أي ثقافية.إنها تخرج بها من المستوى اليومي وتعطيها أبعادا شمولية،فترفع بذلك الحدث أو السلوك البشري –الجماعي أو الفردي–من مستوى الزمن السيكولوجي أو الاجتماعي الضيق... إلى مستوى الزمن الكوني الكبير، زمن الأصول و البداية أي الزمن المقدس".(**34**)

الإحالات و الهوامش:

1_محمد عجينة:موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها_الجزء الأول–جار الفارابي–بيروت–لبنان–الطبعة الأولى 1994 ص .5

2_م.ن.ص.40.

3_محمد عبد المعيد خان:الأساطير والخرافات عند العرب–سلسة العلوم الاجتماعية–دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت–لبنان–الطبعة الثالثة 1981 ص.16.

4_م.ن.ص.17

5_م.ن.ص.17

6_نبيلة إبراهيم:أشكال التعبير في الأدب الشعبي_دار المعارف–الطبعة الثالثة –القاهرة (د.ت.)ص.19

7_ ميرسا الياد :المقدس والدنيوي رمزية الطقس والأسطورة ترجمة نهاد خياطة–العربي للطباعة والنشر والتوزيع دمشق الطبعة الأولى1987 ص.91.

8_نبيلة ابراهيم:م.س.ص.19

9_Mircea Eliade :Aspects du mythe-Gallimard-1963_P.16)

10_شاكر مصطفى سليم:قاموس الانثروبولوجيا _انكليزي_عربي_الطبعة الأولى 1981 ص.659

11_م.ن.ص.659

12_سمير الحجازي:قضايا النقد الأدبي المعاصر–دراسة تحليلية نقدية–الجزء الأول–دار الفكر الحديث–دار البيضاء –المغرب1983_ص.104

13_ كلود ليفي ستراوس :الأسطورة والمعنى ترجمة وتقديم د. شاكر عبد الحميد و مراجعة د. عزيز حمزة مطبعة الشؤون الثقافية العامة الطبعة الأولى بغداد العراق 1986 ص.ص.67–68

14_د.ربيع كردي:البنائية الجديدة في علم الاجتماع والانثروبولوجيا_مصر العربية للنشر والتوزيع 2011ص.107

15_محمد عجينة:م.س.ص.72

16_ عبد الحق منصف:أبعاد التجربة الصوفية–الحب–الإنصات –الحكاية_دار إفريقيا الشرق_المغرب _2007 ص.170

17_محمد عجينة:م.س.ص.35

18_ربيع كردي:م.س.ص.106

19_محمد عجيبة:م.س.ص.52

20_ربيع كردي:م.س.ص.109

21_م.ن.ص.110

22_الدراسات الرائدة لكلود ليفي ستراوس حول الأسطورة:

Volume 1 :Mythologies _ Le cru et le cuit الجزء الأول:أسطوريات_النيئ و المطبوخ

Volume 2 :Mythologies _ Du miel aux cendres

الجزء الثاني:أسطوريات_من العسل إلى الرماد

Volume 3 :Mythologies _L'origine des manières de table
الجزء الثالث:أسطوريات_أصل عادات الطاولة(الأكل)

Volume 4 :Mythologies _L'homme nu الجزء الرابع:اسطوريات_الانسان العاري

23_ Claude Levi Strauss :Anthropologie structurale Ed. Plon 1958 P.21

24_.سالم يفوت:مفهوم الواقع في التفكير العلمي المعاصر،مظاهر النزعة الاختبارية لدى الوضعيين الجدد وستراوس(_منشورات كلية الآداب ،الرباط(د.ت.) ص.ص.291_293

25_ . Vladimir Propp :Morphologie du conte _ traduction _ Ed .Seuil _ Coll /Points Paris _1970

26_Julia Kristeva :Le langage cet inconnu-une initiation à la linguistique Editions Seuil –coll .Points _ Paris P .296_297

27_محمد عجينة:م.س.ص.47

28_ربيع كردي:م.س.ص.ص.111_112

29_م.ن.ص.113

30_م.ن.ص.118

31_محمد عجينة:م.س.ص.48

32_م.ن.ص.48

33_م.ن.ص..48

34_عبد الحق منصف:م.س. ص48.

للإحالة على هذا المقال:

. سعيدي محمد، « الانثروبولوجيا و الأسطورة كلود ليفي ستراوس أنموذجا(1908_2009)» . الفكر المتوسطي، المجلد: 8، العدد2: ، جويلية 2020 ، ص76. ص103